Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القطاع الذي تجاهلته الكتب الموجزة حتى عهد حديث وميدان الأعمال «النبيلة» يقوم تبادل مستمر على مستوى المواضيع والأفكار والأشكال. ويحدث أحياناً أن ينتقل نتاج أدبي من قطاع إلى آخر. في الواقع، كما سنرى فيما بعد، أن الانتماء إلى الأدب أو «الأدب الدوني» لا يعرّف عنه بالصفات المجردة لدى الكاتب أو النتاج أو الجمهور بل بواسطة نوع من التبادل[1].

لهذا السبب فإن التفاوت الملاحظ عدة مرات خلال العصور بين ما يقرأ وما يجب أن يقرأ اعتبر دائماً موضوع فضيحة وعار من فئة المثقفين، تلك الفئة نفسها المدعوة إلى الشهادة أمام المؤرخ والتي إليها ينتمي السوسيولوجي.

إذا طعنّا في شهادة القارىء واستجوبنا المؤلف تعرضنا لخيبة جديدة. وبقدر ما يكون عمل الخلق الأدبي هو عمل منفرد وحرّ بقدر ذلك يتطلب نوعاً من التخلّي عن الضرورات الاجتماعية. أو بتعبير آخر إذا وجب على الكاتب بصفته إنساناً وفناناً أن يتصوّر جمهوره وأن يشعر بأنه متضامن معه يصبح من الخطر أن يعي بوضوح التحديدات التي يلقيها جمهوره عليه. لقد شبهوا عمل الخلق الأدبي بحركة الغريق الذي يرمي زجاجة في البحر. فهذا التشبيه لا يصحّ إلاّ بقدر ما يتصور هذا الغريق المنقذ الذي يوجه رسالته إليه ويشعر بأنه متضامن معه غير أنه لا يدري إلى أي شواطىء مجهولة سوف تحمل التيارات رسالته.

إن شهادة وسطاء الكتاب يمكن ان تكتسب قيمة أكبر ذلك أن الناشرين وأصحاب المكتبات وأمناءها يراقبون الدواليب الرئيسية في آلة التبادل. وللأسف إن السر التجاري عند الفئتين الأوليين هو مكبح فعّال جداً. على كل حال حتى وإن كان الناشرون وأصحاب المكتبات على استعداد لإعطاء الإرشادات فإنهم يعجزون عن ذلك بسبب قلة الوسائل المادية التي تخولهم معرفة المدى الحقيقي الذي يبلغه دورهم

---

(1) Cf. chap. VI et VIII.